أثر الإسلام وثقافته في الحياة الملايويّة

روسني بن سامه*

١. التعريف بالشعب الملايوى:

تطلق كلمة الملايو على الشعب الذى يتكلم باللغة الملايويّة ويقيم في مناطق أرخبيل الملايو[١] هو مصطلح جغرافي يطلق على مجموعة ضخمة من الجزر وشبه الجزر التى تقع في منطقة جنوب شرقى آسيا.

ويعطينا التكوين الجيولوجى لتلك الجزر نفسها فكرة دقيقة عنها وهى تتكون من عدة جزر مبعثرة تمتد من أقصى الطرف الجنوبى الشرقى للقارة الآسيوية المتاخمة لجنوب بلاد التايلاند - Thailand - شمالاً حتى شمال القارة الأسترالية جنوباً، بينما يحدها شرقاً بحر الصين الجنوبى ويحدها غرباً المحيط الهندى. ويتكون أرخبيل الملايو من ثلاث مجموعات سياسية رئيسة هي: اتحاد ماليزيا — Federation Of Malaysia — وجمهورية إندونيسيا - Republic Of Indonesia — وجمهورية الفيلبين — Republic Of Philippines.[٢] ولهذه المجموعات الثلاث لغتها الخاصة الموحدة فضلاً عن اللهجات المحليّة وهى اللغة الملايويّة التى يستخدمها السكان في حياتهم اليوميّة وفي معاملاتهم الرسمية ويكتبون بها مؤلفاتهم الأدبيّة والعلميّة.

---

* مدرس بقسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

1 See. Ismail Hamid. *Masyarakat dan Budaya Melayu*, DBP, 1991, P. 3.

٢ انظر: مرزوقى حاج محمود حاج طه، **الإسلام في أرخبيل الملايو** - رسالة دكتوراه - (القاهرة: كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ١٩٧٧م)، المقدمة.

٢. الحياة الملايوية قبل وصول الإسلام:[٣]

كان الملايويون في تاريخهم الأول يؤمنون بعدد من المعتقدات القديمة كما هو الواقع في أنحاء العالم فكانوا يعتقدون بأن كل شيء في هذا العالم له روح وقوة فالأشجار والجبال والأنهار والأحجار لها أرواح يخضع لها الناس ويجب عليهم أن يحترموها ويعبدوها لكيلا تغضب عليهم فتحل بهم البلايا. ومن ثَمَّ ظهرت عبادة الطبيعة لديهم وبعد مرور الزمن وقعوا تحت التأثير الهندى منذ أن كثر الاختلاط بالقادمين إليهم من الهند بقصد التجارة طوال القرون المسيحية الأولى فظهر أثر ذلك عميقاً في أفكارهم وعباداتهم وعاداتهم وثقافتهم وآدابهم.[٤]

وكانت العلاقات بين الهند وأرخبيل الملايو عريقة قديمة. وبواسطتها تسربت إلى أرخبيل الملايو الثقافة الهندية وآدابها وكان أثر ذلك عظيماً وعميقاً للغاية. وظهرت في أول الأمر الكتابة الملايوية بالحروف الهندية وهى معروفة بحروف كاوى - KAWI - التى ظهرت في فترة ما بين عام أربعمائة وسبعمائة وخمسين للميلاد نتيجة لقدوم الثقافة الهندية إلى أرخبيل الملايو. وكذا تأثرت بالحروف الهندية المعروفة بحروف جاوة القديمة التى كانت أصلا من حروف ونجى التى نشأت لدى أفراد **بالاوا** المقيمين في بلدة كورومنديل جنوب الهند. وبصفة عامة تأثرت اللغة الملايوية باللغة السنسكريتية لغة الهند القديمة نتيجة انتشار الهندوكية والبوذية الديانتين السائدتين في أرخبيل الملايو قبل انتشار الإسلام.[٥]

وكان الأدب الملايوى في ذلك العصر أدباً لسانياً لم يكن في متناول قرائه لأن حروف الكتابة كانت غير منتشرة إلاّ ما عرف من الحروف الهندية والإشارة والرموز. وكانت القصة قبل انتشار الإسلام مملوءة بالتأثير الهندى من كتاب بانجاتنترا ورامايانا ومهابراتا وغيرها من الكتب الهندية المشهورة. ويرى وينستد[٦] WINSTEDT أن معظم الحكايات الملايوية القديمة مقتبسة من الحكايات الهندية القديمة أو بإعادة

---

٣ وقد تناول الباحث حياة الملايويين قبل الإسلام من حيث تأثرهم بغيرهم لا من حيث نشأتهم وتطورهم.
4 See. Ismail Hamid. op. cit, P. 53-58

٥ انظر: محمد زكى عبد الرحمن، **أثر اللغة العربية في اللغة الماليزية** ـ رسالة ماجستير ـ (القاهرة: كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٠)، ص١٩، وما بعدها.

6 See. R. Q. Winstedt. *History of Classical Malay Literature*, (K. Lumpur: Oxford University Press, 1972), P. 3.

صياغتها الجديدة خاصة من حكايتى مهابراتا ورامايانا المشهورتين. كما عثر على الآثار الهندية في قصص الحيوان وقصص التسلية والفكاهة وكانت معظم محتويات هذه القصص مأخوذة من كتاب بنجاتنترا ثم صيغت بصيغة ملايوية لتكون ملائمة لمتطلبات روح الشعب الملايوى.

و لم يقتصر التأثير الهندى في القصة الملايويّة في الشخصيات أو الأحداث أو حبكة الحكاية بل تعدى ذلك إلى الألفاظ إذ وجدت في القصة الملايويّة بعض الألفاظ المستعارة من الألفاظ السنسكريتية فمثلاً في حكاية هانج تواه ــ HANG TUAH ــ الملايوية وجد لقب لقسمان ـ LAKSEMANA ـ وهذا اللقب هندى وهو مذكور في حكاية رامايانا وسرى راما.[٧] وكذا لا ينحصر التأثير الهندى في الألفاظ في القصة بل تجاوز ألفاظ الحياة اليومية حتى ما يتعلق بالعبادة مثل كلمة seksa, dosa, syurga, neraka, sembahyang.[٨]

التجارة وأثرها في نشر الإسلام:

ترجع العلاقات بين العرب وأرخبيل الملايو إلى أزمنة قديمة مرت بمراحل عدة ففي المرحلة الأولى كانت العلاقة تتمثل في العلاقة التجارية أو الاقتصادية وهى أقدم علاقة بينهما وأبرز الوسائل التى انتقلت بواسطتها تيارات التأثير العربى الإسلامى إلى أرخبيل الملايو ثم تأتى المرحلة الثانية الخاصة بالعلاقة الدينية والسياسية نتيجة للعلاقة التجارية وهذه العلاقة تتمثل في فترة وصول الإسلام إلى أرخبيل الملايو وانتشاره ونشوء الدولة الإسلامية فيها. وهى فترة استقبال أبناء البلاد الدين الإسلامى وتأثيره ثم تبرز المرحلة الثالثة في التأثير الدينى والعقلى.[٩] وهى فترة الاستيعاب والانعكاس والتفاعل بين تأثير العناصر العربية الإسلامية في الأدب الملايوى وظروف عزوف الأدب الملايوى عن العناصر الهندية.

وتنقسم العلاقات التجارية بين العرب وأرخبيل الملايو إلى علاقتين: علاقة مباشرة وعلاقة غير مباشرة. فالعلاقة المباشرة تتمثل في الاحتكاك المباشر بين العرب وأرخبيل

---

7 See: Ibrahim Mohd Salleh, "Kesusasteraan Melayu Kelasik Dan Moden", *Penerbit Asia,* K.L, Cet. 1,p. 32.

8 See. Ismail Hamid. op. cit, p. 58.

9 See: Azyumardi Azra. *Jaringan Ulama Timur Tengah Dan Nusantara Abad Ke 7 Dan 8,* Penerbit Mizan, Cet. 1, 1994, p. 23.

الملايو إذ كان العرب يحتاجون إلى السلع التى لا توجد إلاّ في أرخبيل الملايو مثل التوابل والبخور والكافور التى وجدت في سومطرة.[١٠] ويرى بعض الباحثين أن تجارة الكافور كان من العوامل التى أدت إلى قيام العرب برحلات إلى أرخبيل الملايو.[١١] ونشأت هذه العلاقة المباشرة في عصر ما قبل الإسلام منذ القرن الخامس قبل الميلاد وكانت أهمية ميناء أرخبيل الملايو - بوصفها مركزاً تجارياً ـ مستمرة حتى عصر النبوة في القرن السابع الميلادى والقرون التى تليه.[١٢]

وفضلاً عن العلاقة المباشرة المتمثلة في أهمية الحصول على البضائع التجارية من أرخبيل الملايو، هناك علاقة غير مباشرة عندما نشأت العلاقة التجارية بين العرب والصين عن طريق البحر الذي استخدمه التجار العرب للوصول إلى الصين. وهذا الطريق يعبر ميناء الهند وأرخبيل الملايو ثم البحر الصينى تبعاً لحركة الرياح. كان معظمهم يتوقفون في مراكز تجارية خاصة في جزر أرخبيل الملايو أثناء رحلتهم إلى الصين.[١٣] وكذا في أثناء عودتهم.

ويرى بدر الدين حي الصينى[١٤] أن العلاقة بين الصين والعرب نشأت قبل الإسلام بقرون بطريقة غير منتظمة ثم تطورت وازدهرت وصارت علاقة منتظمة قبيل ظهور الإسلام واستمرت بعد ظهوره.

وفي القرن الثامن الميلادى انتظمت الرحلات البحرية بين الخليج العربى وأرخبيل الملايو والصين حيث انطلقت رحلات أبناء الخليج العربى التجارية من مراكز التجمع التجارى والملاحى على سواحل الخليج نفسه كلها من البصرة ـ فرضة العراق ـ وسيراف - فرضة الساحل الفارسى - والبحرين - فرضة الساحل العربى إلى أرخبيل الملايو والصين. ثم أخذت العلاقة تزدهر وتنمو في القرن التاسع الميلادى إلى أن تم ازدهارها في القرن الرابع عشر الميلادى.[١٥]

---

10 See: Abdul Rahman Hj. Abdullah, *Pemikiran Umat Islam Di Nusantara,* Dbp. Cet. 1, 1990, p. 25.

11 See: Abdullah Ishak. *Islam Di India Nusantara Dan Cina,* Nurin Enterprise, Cet. 1, 1992, p. 90.

12 See: Abdul Rahman Hj. Abdullah, 0p-cit, p. 26.

13 See: Ibrahim T. Y. Ma, *Perkembangan Islam Di Tiongkok,* Bulan Bintang, Jakarta, 1969, p. 32.

١٤ انظر: بدر الدين حي الصيني، **العلاقات بين العرب والصين** (مصر: مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٠)، ص٨.

١٥ انظر: مرزوقى حاج محمود حاج طه، المرجع السابق، ص٩٧.

وتبرز هذه الهجرة التجاريـة بوصفهـا أقـدم عوامـل الصـلات والتأثـير بـين الـدول العربية وأرخبيل الملايو وهي من أهم المنافذ التى تسـربت مـن خلالهـا الثقافـة العربيّـة الإسلاميّة إليه وأصبحت قناة رئيسة لانطلاق عجلـة التأثـير العربـى الإسـلامى عليـه. وبهذه العلاقة التجاريّة بدأ الشعب الملايوي عهـداً جديـداً، وبـدأت الحركـة الفكريّـة تظهر ثمارها وآثارها واضحة جلية وواسعة المدى مبشرة بوصـول الإسـلام إلى أرض الأرخبيل وانتشاره بين شعوبه حتى أصبح ديناً رسمياً لهم. وترتـب علـى ذلـك انتشـار الثقافة العربية الإسلامية بينهم.

وصول الإسلام إلى أرخبيل الملايو وانتشاره:

كانت هناك رحلات ومراكز تجارية بين بعض بلاد الجزيرة العربية وبـين أرخبيـل الملايو قبل الإسلام وفي صدر الإسلام. فإن ذلك يستلزم أن الإسـلام وصـل إلى هـذه البلاد في وقت مبكر.[١٦] وانتقل من خلال التجار العرب الذين كانوا يختلفون إلى هذه الجزر وخاصة تجار عمان وحضرموت واليمن. ولم يكن الإسـلام مجـرد ديـن للعبـادة فقط بل بث روحاً جديدة وحضارة راقية لدى سكان هذه الجزر.[١٧]

ومن المحال أن نعرف على وجه التحقيق التاريخ الدقيـق لوصـول الإسـلام إلى أرخبيـل الملايو. وربما حمله إلى هنا تجار العرب في القرون الأولى للهجرة وذلك قبل أن تصـل إلينـا أية معلومات تاريخية عن حدوث أمثال هذه المؤثرات في تلك البلاد بزمن طويل ومما جعل هذا التاريخ أكثر احتمالاً ما نعرفه من أن العـرب زاولـوا مـع بـلاد الشـرق تجـارة واسـعة النطاق منذ وقت مبكر، وفي مستهل القرن السابع الميلادى لقيت تجـارتهم مراكـز تجاريـة مهمة. وفضلاً عن ذلك كانوا سادة التجارة مع الشرق بلا منازع ــ ويمكـن الجـزم بـأنهم كانوا قد أسسوا مستعمراتهم التجارية في بعض جزر أرخبيـل الملايـو.[١٨] وبهـذه الطريقـة دخل الإسلام إلى هذا الأرخبيل في القرون الأولى للهجرة.

كما يرى س. ق. فاطمى[١٩] - FATIMI . Q.S - أن الإسلام وصـل إلى الأرخبيـل

---

١٦ انظر :أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي** (مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٩٣م)، ج٨، ص٣٣٦.

١٧ انظر: محمد نصر مهنا، **الإسلام في آسيا** (إسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ط١، ١٩٩٠)، ص٥٥٠.

١٨ انظر: سير توماس و. أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمه د. حسن إبراهيم حسن ود. عبد المجيد عابدين (مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٧٠م)، ص٤٠١-٤٠٢.

19 See: S. Q. Fatimi. *Islam Comes To Malaysia,* Masri Singapore, 1963, Ms. 99.

في القرن الأول الهجرى بواسطة التجار العرب والفرس الذين كانوا يترددون عليه من قبل. وتأكيداً لهذه الآراء، ذكرت قرارات ندوة العلماء والباحثين ــ حول موضوع دخول الإسلام إلى إندونيسيا وآسيا ـ[٢٠] بأن الإسلام دخل إلى أرخبيل الملايو أول مرة في القرن الأول الهجرى عن طريق التجار العرب مباشرة وأن أول منطقة دخلها الإسلام هى سواحل سومطرا الشمالية وأن الدعاة الأوائل كان بعضهم من التجار العرب والفرس وبعضهم من أبناء البلاد الذين أسلموا واستقوا الثقافة الإسلامية ثم قاموا بالإسهام في الدعوة إلى الإسلام.[٢١]

ومما تقدم نستخلص أن الإسلام وصل إلى سواحل أرخبيل الملايو في القرن الأول الهجرى الموافق السابع الميلادى من بلاد العرب مباشرة وأما انتشاره فقد أصبح واضحاً في القرن الثالث عشر الميلادى على يد الدعاة الذين كان أكثرهم ينحدرون من أصلاب عربية. وكان معظمهم من الصوفيين.[٢٢]

وأول ما وصل إلينا من الأنباء عن انتشار الإسلام في تلك البقاع ما جاء في رحلة ماركوبولو (MARCOPOLO) الرحالة الإيطالى المشهور الذى زار شمال سومطرا في عام ١٢٩٢م وأخبر بأنه عثر على منطقة في شرق سومطرا مشهورة باسم برلاق اعتنق أهلها الإسلام وكان فيها ملك مشهور باسمه الإسلامي بجانب اسمه القديم ميرة سيلو - MERAH SILU - وهو الملك الصالح المتوفى سنة ١٢٩٢م.[٢٣] وفي هذا القرن ظهرت دولة برلاق[٢٤] بوصفها أول دولة إسلامية في منطقة جنوب شرقى آسيا.

وزار بعده هذه المنطقة ابن بطوطة الرحالة العربى المشهور ونزل في ضيافة الملك الظاهر وتحدث عن سلطان هذه الولاية وحرصه على إقامة شعائر الدين واهتمامه بدراسة الفقه على مذهب الإمام الشافعى ووصفه بأنه من فضلاء الملوك وكرمائهم شافعى المذهب ومحب للفقهاء الذين كانوا يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة. وهو

---

٢٠ التي عقدت في مدينة ميدان بسومطرة الشمالية في الفترة ما بين ١٧-٢٠ من شهر مارس سنة ١٩٦٣م برئاسة المؤرخ الأندونيسي محمد سعيد وحضرها عدد من الباحثين وعلماء أندونيسيا والأجانب المهتمين بدراسة تاريخ الإسلام في جنوب شرقى آسيا.

٢١ انظر: محمد أحمد السنباطي، المرجع السابق، ص١٨٠.

22 See: S. Q. Fatimi, op. cit, p. 100.

23 See: Sopian Taimon, op. cit, p. 22.

٢٤إحدى مدن في جزيرة سومطرة إندونيسيا.

كثير الجهاد والغزو. ومتواضع يأتي إلى صلاة الجمعة ماشياً على قدميه وأبناء بلده محبون للجهاد يخرجون معه تطوعاً. وتغلبوا على من يليهم من الكفار. والكفار الذين كانوا يؤدّونهم الجزية على الصلح.[٢٥]

عوامل انتشار الإسلام في بلاد الملايو:

وصل الإسلام إلى أرخبيل الملايو بطرق سليمة بواسطة التجار العرب وبدأ ينتشر حتى ظهر انتشاره جلياً في القرن الثالث عشر الميلادى على يد رجالات الصوفية. ومن العوامل التي ساعدت على انتشاره في أرخبيل الملايو زواج التجار العرب المسلمين بالنساء الملايويات منذ العهد المبكر للإسلام فنشأت عن ذلك أسر إسلامية في ولايات أرخبيل الملايو والبلدان الأخرى التى كانوا يتمركزون فيها وأصبحت تلك البيوت المزدوجة الجنسية منارات يهتدى بها السكان. ونتج من هذا آلاف الأسر المسلمة التى ظلت تتزاوج فيما بينها وكانت النساء الملايويات بعد الزواج يتخلقن بأخلاق الإسلام فكنّ بذلك هداة إلى الإسلام لكثير من المواطنين. ومن المسلمين من كان يتزوج بأكثر من واحدة فكان هذا الزواج سبباً في زيادة عدد المسلمين.[٢٦]

ومنها جهود الملوك والرؤساء الملايويين وتشجيعهم ومنهم من اعتنق الإسلام وأسهم إسهاماً بارزاً في نشر الدعوة الإسلامية. وكان الشعب الملايوى معروفاً بالولاء الكامل تجاه ملوكه في كل شيء. وأدى هذا الولاء إلى سهولة انطلاق الدعوة لسكان هذه البلاد.[٢٧]

كما انتشر الإسلام في مملكة ملقا بشبه جزيرة الملايو عن طريق المصاهرة مع سلطان سامودرا ثم صارت هذه المملكة الصغيرة إمبراطورية إسلامية عظيمة بسطت نفوذها على كثير من البلاد المجاورة وحيثما امتد سلطانها انتشر الإسلام في مناطق نفوذها.[٢٨] وأصبحت مملكة ملقا هى أكبر دولة إسلامية حيث أسلم سلطانها وهو بارا مسوارا - PARA MASWARA - ثم غير اسمه إلى السلطان محت إسكندر شاه - SULTAN MEGAT ISKANDAR SHAH -.[٢٩]

---

٢٥ انظر: ابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة** (بيروت: دار صادر، ١٩٩٢)، ص٦١٨.

26 See: Abdullah Ishak. op. cit, pp. 113-114.

٢٧ انظر: محمد زكي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص٣٥.

٢٨ انظر: محمد عبد الرءوف، **الملايو: وصف وانطباعات** (الكويت: الدار القومية، ١٩٦٦)، ص٤٩.

29 See: Joginder Singh Jessy, *Tawarikh Tanah Melayu,* 1400-1959, DBP. CET. 2, 1965, p. 20.

ومن عوامل انتشار الإسلام الظروف المستقرة الآمنة السليمة من موجات الحروب المضطربة حيث كان الدعاة الأوائل وبعضهم من التجار الذين حملوا الإسلام ونشروه بالطرق السليمة فالمؤكد المعروف أن الإسلام انتشر بالسلام لا الحرب وبخاصة في هذه البلاد ويتعذر أن نعثر على مؤشرات تبيّن أن الإسلام قد انتشر بالقوة إرغاماً وإكراهاً، فالناس في هذه المناطق دخلوا الإسلام عن قبول وإقتناع ورغبة وكان دخولهم في هذا الدين أفواجاً عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة والقدوة السليمة. وفضلاً عن ذلك قدم الإسلام الثقافة والحضارة الراقية التى أسهمت في تكوين الشخصية الملايوية.[٣٠] وكان للعرب سواء كانوا دعاة أو وعاظاً أو تجاراً فضل في حمل رسالة الدعوة الإسلامية إلى موانئ أرخبيل الملايو بالأساليب السليمة ومنهم من صاهربعض ملوك الأرخبيل.[٣١]

كان التجار العرب المسلمون وما يمتازون به من أخلاق إسلامية في البيع والشراء والمعاملة الأثر الكبير في جذب أنظار سكان البلاد إلى الإسلام حتى ساد الإسلام في ربوع الأرخبيل وأصبح ديانة سائدة فيها.[٣٢] ومن خصائصهم أنهم تعودوا على عادات أهل البلاد التى ساعدت على سهولة اندماجهم واحتكاكهم بأهل البلاد المحليين وكان هذا الاحتكاك والاختلاط ييسر انطلاق عجلة الدعوة الإسلامية وفضلاً عن ذلك فإنهم استطاعوا بسهولة أن يتعلموا اللغات المحلية بسرعة فوثقوا بذلك صلاتهم مع أهل البلاد المحليين.[٣٣]

وقد أحدث الإسلام تغيرات جذرية في شئون الحياة لدى أبناء الملايويين في جميع النواحى دينيّاً وسياسيّاً وعلميّاً وثقافيّاً ولغويّاً وأدبيّاً ولم يقتصر انتشار الإسلام في أرخبيل الملايو باعتباره ديناً فقط، بل انتشرت معه الثقافة العربية والآداب العربيّة الإسلامية.[٣٤] وقد أسهم الإسلام بدوره الفعال في نقل الثقافة العربية الإسلاميّة وآدابها إلى أرض الملايو مثل انتقال الحروف العربية إلى الكتابة الملايويّة واختلاط مفردات عربية في اللغة الملايوية وانتشار الأنواع الأدبية العربية الإسلاميّة من القصة والشعر في الأدب الملايوى.

---

٣٠ انظر: أحمد شلبي، المرجع السابق، ص٤٤٩.

٣١ انظر: مرزوقي حاج محمود حاج طه، المرجع السابق، ص١٧٧.

٣٢ انظر: محمد زيتون، **المسلمون في الشرق الأقصى** (القاهرة: دار الوفاء، ط١، ١٩٨٥)، ص١٢٣.

٣٣ انظر: أحمد شلبى، المرجع السابق، ص٤٤٨.

34 See. Jamilah Bt. Hj. Ahmad, *Kumpulan Esei Sastera Melayu Lama*, DBP. CET. 1, 1981, p. 1.

أثر الإسلام وثقافته في الحياة الملايويّة:

اتفق المؤرخون الإسلاميون والعرب على أن اختيار شعب الملايو الدين الإسلامى اختيار لا إجبار فيه بل اعتنقه بالاقتناع التام قلباً وقالباً ولقى استجابة واسعة النطاق وهى ظاهرة لم يسبق لها مثيل في تاريخه حيث اعتنق جميع طبقات المجتمع الملايوى ديناً واحداً بدءاً من المواطن العادى الذى كان يعيش في البيئة البدائية إلى طبقات الوزراء والأمراء والملوك.

ومن الجدير بالذكر أن شعب الملايو أقبل على الإسلام ليس كإقباله على دين جامد يهتم بمراسم العبادات وبآداب تشييع الجنازات فقط بل تقبّله بوصفه ديناً ومنهجاً شاملاً للحياة واتخذه وسيلة للتقدم في جميع مجالات الحياة وقد أحدث الإسلام تغيرات جذرية في شئون الحياة لدى أبناء الملايو في جميع النواحي دينياً وسياسيّاً وعلميّاً وثقافيّاً ولغويّاً وأدبيّاً.

أ. أثر الإسلام في الحياة الدينيّة:

انتشرت الدعوة الإسلامية في أرخبيل الملايو بسلام و لم تلق أية مقاومة ومعارضة تذكر حيث أقبل دون تردد الملوك والرؤساء ورعاياهم على الإسلام طواعية وبجدية وإخلاص. وهذه السمة هي التي ساعدت على سرعة انتشار الإسلام وتأثيره في الأرخبيل وكان حضور عدد كبير من التجار والدعاة العرب إلى أرخبيل الملايو بوفود متتالية لمجرد تعليم أبناء البلاد مبادئ الإسلام وعلومه وأحكامه وأدبه حتى تركوا ما كانوا عليه من أديان أخرى واستمسكوا بأداء شعائر الإسلام.

وإن الهندوكية والبوذية اللتين جاءتا قبل الإسلام لم تسيطرا على قلوب الملايويين ونفوسهم بل كانتا تؤديان دوراً رئيساً في أوساط الملوك والرؤساء والأغنياء منهم فقط دون أبناء الشعب و لم تؤثرا إلاّ في أمور العادات والمناسبات والمعاملات.[٣٥] فحقيقة الأمر أن الشعب الملايوي تأثر بهما من الجانب المادي فحسب وأما الجانب الروحى فلم تتسرب الهندوكية والبوذية إلى قلوب الملايويين لأنهما قامتا على أساس الخيال وجلب المصالح الشخصية بعيداً عن مخاطبة العقل والضمير.

---

35 See. Syed Muhammad Naquib Al-Attas. *Islam Dalam Sejarah Dan Kebudayaan Melayu*, ABIM, Cet 4, 1990, p. 12.

ومن منطلقات هذه الناحية اعتنق جميع الملايويين دين الإسلام الحنيف وتركوا المعتقدات القديمة من الهندوكية والبوذية والخرافات المضللة بسبب النشاط وحسن العشرة اللذين أبداهما المسلمون في خلق كريم ومستوي رفيع من المعاملات والتوّادّ والوحدة الإسلامية، ولقد ساعدت هذه العوامل على توسيع رقعة العقيدة الإسلامية حتى غدت ممالك بوذا والديانة الهندوكية في أرخبيل الملايو في ذبول لفساد عقيدتها.[٣٦]

ب. أثر الإسلام في الحياة السياسية

من هذه الناحية صار الإسلام عماداً حقيقياً في توحيد صفوف أبناء الملايو منذ القدم لأن الإسلام دعا إلى تحقيق الإخوة والمحبة والوحدة بين أبنائه. وقد حدث التغيير البارز عندما ظهرت الدولة الإسلامية في الأرخبيل نتيجة انطلاق حركة الدعوة الإسلامية وجهود الدعاة والوعاظ. وفي القرن التاسع الميلادي ظهرت أول دولة إسلامية في الأرخبيل وهي دولة **برلق**. وأنشئت في سنة ٨٤٠ م وكان ملكها الأول السلطان السيد مولانا **عبد العزيز شاه**. ثم تلا هذه الدولة إنشاء دولة **سمودرا باساي** سنة ١٠٤٢ م. وكان ملكها الأول السلطان **محمود شاه**. ثم قامت دولة **فطانى** في القرن الثالث عشر الميلادى.[٣٧]

وقد واجه الملايويون المؤامرات والهجمات المتعددة والمتكررة من جانب قوى الاستعمار المختلفة بقوة العقيدة الإسلامية و لم يغيروا عقيدتهم الإسلامية بالرغم من كل الإغراءات المادية مهما كان الثمن حتى استطاعوا القضاء على إمبراطورية ماجاباهيت الهندوكية سنة ١٤٧٨م ونقل شعارها إلى ديماك عاصمة الدولة الإسلامية بجاوة وكان زعيمهم في ذلك الوقت رادين باته وهو أول من أسلم من ملوك جاوة.[٣٨] ثم نالوا استقلالهم، وطردوا المستعمرين الهولنديين والإنجليز عنها. ومن أعظم الممالك الإسلامية الملايوية:

مملكة باساي سنة ١٢٨٠م - ١٤٠٠م

مملكة ملقا سنة ١٤٠٠م - ١٥١١م

مملكة أتشية سنة ١٥١١م - ١٦٥٠م

مملكة جوهور وريؤو سنة ١٦٥٠م - ١٨٠٠م

---

٣٦ انظر: عبد الرءوف شلبي، **الإسلام في أرخبيل الملايو** (الكويت: دار القلم، ط٣، ١٩٨٣)، ص١٠١.

37 See. Abdul Rahman Hj. Abdullah. op. cit, p. 48.

38 See. Sopian Taimon - op. cit, p. 4.

وبمجيء الإسلام تفتحت آفاق جديدة في مجال الاقتصاد الخارجي حيث اتسع نطاق التعاون بين أرخبيل الملايو والدول الأخري في الشرق الأوسط وإفريقيا وغرب أوروبا. لأن المسلمين كانوا يملكون زمام التجارة العالمية بجانب السياسية الدولية. ويرى السيد نجيب العطاس أنّنا لا نبالغ إذا قارنا بين نفوذ الإسلام في الأرخبيل بنفوذ الإسلام في أوروبا في القرنين السابع والثامن للميلاد حيث مكّن دخول الإسلام ونفوذه من تشكيل الكيان أو الظروف الجديدة في أوروبا التي تعرف بالعصر الحديث كما يدل دخول الإسلام ونفوذه في منطقة الأرخبيل على ظهور زمن جديد وبداية عصر جديد.[٣٩]

ج. أثر الإسلام في الحياة الاجتماعيّة

من هذه الناحية الاجتماعية كان شعاع الإسلام قد أيقظ الملايويين وأنقذهم من الضلال وحثهم على تخطي العقبات في طريق التقدم والازدهار. عان الملايويون في العهد الهندوكي قبل الإسلام عانوا كثيرا من المشاكل الاجتماعية مثل التعصّب القبلي، ودكتاتورية الحاكم، واستغلال الأغنياء، ومعاناة الفقراء وغير ذلك.

فكان للإسلام أثره الناجح في حل تلك المشكلات في أرخبيل الملايو بالقضاء على الفوارق الطبقية وإعلان أن الناس جميعاً سواسية فلا فضل لأحد على أحد إلاّ بالتقوي والأعمال الصالحة. ودعت هذه الدعوة الطيبة الملايويين إلى الدخول في الإسلام ونبذ الهندوكية التى قامت على أساس الطبقات وعدم الاهتمام بشأن الفقراء والضعفاء.[٤٠]

وكانت الحقوق الفردية التى أقرّها الإسلام للإنسان حصانة للملايويين جعلتهم يشعرون بالأمان والطمأنينة في حياتهم فلا قهر ولا تعذيب، بل العدل والمساواة في كل حال خلافاً لما حدث في الماضي من الإكراه والقيود التى أدت إلى تعطيل نشاط الحياة.

وقد رفع الإسلام حياة الملايويين من مجتمع بدائي متخلف إلى مجتمع حضاري متقدمٍ. فالحضارة الإسلامية تغلبت على الحضارات القديمة التى بقيت في أرخبيل الملايو سنينا طوال قبل الإسلام وأدت إلى ترقية الحياة الاجتماعية لدى الملايويين، فالعصر الإسلامى هو عصر النهضة الفكرية والعلمية التى لم تحدث من قبل في الأرخبيل، وقد أحرز الإسلام تقدماً عظيماً في تطوير سلوكيات المجتمع الملايوي وتغيير نظرتهم للحياة فتحوّلوا من حالة الجمود والتخلف إلى الواقعية والمنطقية.[٤١]

---

39 See. Syed Muhammad Naquib Al-Attas -op. cit, p. 4.

40 See. Abdullah Ishak - op. cit. p. 126.

٤١ انظر: محمد زكي عبد الرحمن، المرجع السابق، ص٤٤.

ومن سمات تأثر المسلمين الملايويين بالإسلام أنهم سموا أنفسهم وأبنائهم بأسماء عربية إسلامية وغيروا الأسماء الهندية والمحلية القديمة والشعبية ومثال ذلك لفظ **أونج AWANG** اسم شعبي فغيروه إلى محمود أو بكر. ويمكن القول إن المجتمع الإسلامى الملايوي في القرون الماضية منذ اعتناقه الإسلام إلى اليوم كان مجتمعاً متمسكاً بالإسلام وتعاليمه ومبادئه حيث تسود فيه الأفكار الإسلامية والقيم الروحية وكذا اهتم المسلمون بالشئون الإسلامية والتعاليم الدينية والأعياد والاحتفالات الدينية المختلفة.

د. أثر الإسلام في الحياة العلميّة والثقافيّة

في هذه الناحية كان للإسلام والدعاة المسلمين فضل كبير في ترقية مستوي التفكير لدي الملايويين حيث كانوا يعيشون في عالم الأساطير والخرافات أيام السيادة الهندوكية على أراضيهم. فنقلهم الإسلام من تلك الضلالات والظلمات إلى عالم النور والإيمان والحضارة في كل نواحي الحياة. وكان العقل الملايوي في ظل الحكم الهندوكي مغلقاً وصار ضحية التقليد الأعمي للرؤساء والملوك ولا مفر لهم من ذلك.

ومن نعم الله الكبري أن حرر الإسلام تلك العقول من قيود الخرافات وهداهم إلى حرية التفكير المنطقي والتفكير الفلسفي والخضوع الكامل للخالق الوحيد هو الله سبحانه وتعالى. وفضلاً عن ذلك أدت التعاليم الإسلامية دورها في نقل الملايويين من عبادة الأصنام والأوثان وما تقتضيه من الانحطاط في النظر والإسفاف في الفكر إلى عبادة إله واحد مقدس. ومن أبرز سمات أثر الإسلام في الحياة العلمية والثقافية في الأرخبيل محو أمية الشعب الملايوي، وتعريفه بالحروف العربية للكتابة مع زيادة خمسة أحرف لتشبيع الأصوات الملايوية فضلاً عن إعداد العلماء المحليين البارزين.[٤٢]

وأدى وصول الإسلام إلى الأرخبيل إلى انتشار العلوم الإسلامية التي كانت تدرس في مراكز التعليم الإسلامية المشهورة مثل: **باساي**، **وأتشية**، **وملقا**، **وفطاني**، **وكلنتان**. فأدت هذه المراكز دوراً بارزاً في نشر الإسلام وثقافته في هذه المناطق وكانت مدينة باساي أول مركز للعلوم الإسلامية في الأرخبيل ومنها انتشرت التعاليم الإسلامية إلى أنحاء الأرخبيل. ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار التعليم الإسلامي جهود السلاطين والملوك في إحياء حركة التعليم مثل تشجيعهم العلماء والوعاظ لكي يكرسوا جهودهم، وكذا إسهاماتهم في إنشاء المدارس والمساجد

42 See. Abdul Rahman Hj. Abdullah. op. cit, p. 60.

والبيوت لتكون مكاناً للتعليم كما تم توفير أماكن للتعليم في القصور.[٤٣]

ولم يكوّن الإسلام في الشرق قوة سياسية لها خطرها وسيطرتها فحسب، بل نشر العلم والعرفان في ربوع البلاد وأبرز شخصيات علمية ذات يد طولي في تطوير الفكر الملايوي وذات أثر أعظم في اللغة وآدابها كما كان للإسلام فضل أكبر في نشر الحضارة والأمن وتدريب معتنقيه على آداب النظافة والهندام ومراعاة العادات الصحية. وذلك كما جاء في الملاحظات التي كتبها بعض الرحالة الصينيين الذين زاروا البلاد إبّان انتشار الإسلام هناك.[٤٤]

وكان المعلم الذي ينهض بمهمة التعليم الديني نازحاً من الجزيرة العربية أو من الهند أو ممن تخرّج على أيديهم من أبناء البلاد. ومن الحجاج الملايويين من أقام بجانب المسجد الحرام حقبة من الدهر رغبةً في طلب العلم فكانوا يقومون بمهمة التدريس بعد رجوعهم إلى أهاليهم. وبعض هؤلاء الذين رحلوا إلى الأراضي المقدسة تتلمذ على أيدي مشاهير العلماء والمتصوفة في عصره وأصبحوا أنفسهم حجة في العلم والدين وتركوا لمن خلفهم كنوزاً ثمينة من تأليفهم وإنتاجهم.[٤٥]

وكان التعليم وسيلة لمعرفة الدين والعبادة وبدأ في أول أمره على شكل حوارٍ بين الداعي والمستمع، ثم تطور وتوسع إلى حلقات للوعظ في المساجد، ودروس لتعليم النشء من أولاد المسلمين. وبعد مرور الزمان ظهرت فكرة بناء البيوت الصغيرة بجوار مسكن المعلم وذلك تلبية لاستيعاب الزيادة الكبيرة من أعداد المسلمين الراغبين في تعلم الدين الإسلامي. وكثير منهم جاءوا من أماكن متفرقة بعيدة. ومن هنا بدأ نظام الكتاتيب أو ما يسمي بالماليزية "**الفندق**" أو بالإندونيسيّة "**البسنترين**".[٤٦] وقد أن انتشرت الكتاتيب في أرخبيل الملايو حيث تدرس فيها تلاوة القرآن وعلوم الإسلام الأساسية مثل الفقه والتوحيد والتفسير والحديث وعلوم العربية مثل النحو والصرف والبلاغة، والمنطق

---

43 See. Abdullah Ishak. op. cit, pp. 131-132.

٤٤ انظر: محمد عبد الرءوف، المرجع السابق، ص١٥٦.

45 See. Abdul Rahman Hj. Abdullah. op. cit, p. 59.

٤٦ هذا الاسم يطلق علي مكان التعليم الديني علي نظام الحلقات الدراسية القديمة. وهذا المكان عبارة عن مساحة تبلغ فداناً أو أكثر. وفيها مسجد أو سوراو. وهو مكان يتم فيه التعليم وبجانبه بيت للشيخ أو المعلم. وفي إطاره أكواخ أو بيوت صغيرة من الخشب يبلغ عددها المئات بل بعض "**الفندق**" تحتوى على الآلاف منها. وقد بناها الطلبة بأنفسهم وهم يسكنون فيها.

والمطالعة. وفضلاً عن ذلك عثر على أماكن أخري لدراسة التعاليم الإسلاميّة من بيوت العلماء المسلمين والمساجد والسوراو[٤٧] التي كانت منتشرة في أرجاء الملايو.[٤٨]

ومع هذا فإن الدور الذي قام به الفندق والمسجد والسوراو وبيوت العلماء في مجال التعليم في الأرخبيل كان مهماً بارزاً وذا تأثير عميق في قلوب أبناء المسلمين فيها. وخصوصاً في عهد الاستعمار الغربي حيث نشأت في أحضان هذه الدور سلسلة من الحركات النضالية الإسلامية ضد الاستعمار الأجنبي في هذه البلاد وهي تمثل معاقل الدين الإسلامي حيث ينهض فيها العلماء بعبء الدعوة ويخرجون الفئات القادرة على حمل رسالة الإسلام.

الخلاصة

من خلال ما درسنا في المباحث السابقة تبين لنا أن الإسلام وصل إلى أرخبيل الملايو في القرن الأول الهجرى عن طريق العرب مباشرة. وانطلاقاً من هنا، بطلت نظريات المستشرقين عن وصول الإسلام إلى أرخبيل الملايو في القرن الثالث عشر الميلادى والتي تزعم أن الإسلام دخل إلى المنطقة عن طريق الهند أو الصين.

وكان الشعب الملايوى على استعداد تام اقتناعاً وطوعاً لتقبّل الإسلام فاعتنقه دون معارضة؛ ومن هنا انطلق الإسلام بسهولة وانتشر بدون عقبات وحمل معه ثقافته وآدابه حتى سادت في أوساط المجتمع الذى بدأ في التقدم الثقافي والحضارى.

ومن أعظم إسهام الإسلام في حياة شعب الملايو محو الأمية وتعريفه الحروف لكتابة روائع الأدب الملايوى. وكذا أسهم الإسلام في تطوير مجال التعليم والثقافة حتى ارتفع مستوى التفكير لدى الشعب الملايوى. كما أسهم في تطوير الأدب الملايوى بنقل الأدب العربى الإسلامى إليه.

وما زالت روح تأثير الإسلام في الحياة الملايويّة تسري حتى أصبح دينا رسمياً للدولة.

---

٤٧ هذا المكان بمثابة المصلى.

48 See: Abdullah Ishak. *Islam Di India*, op. cit, pp. 133-134.